(من كتاب الحجِّ وروح العبادة فيه)

(١١)

الحجُّ ويوم عرفة،

وتحقيق العبودية، وعظمة الرجاء

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم عرفة من أيَّام الله الخالدة، وهو يومٌ أغرُّ، وشامة في أيَّام الدهر، وهو ملتقى المسلمين المشهود، جعله الله يومًا واحدًا في العام، بل هو ساعات معدودات، وعشيته أعظم عشية في العام كله.

وها هي شمسُ هذا اليوم المبارك تُشرق، ويفرح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بدخوله، ويزداد فرح أهلُ عرفات به.

يسيرون إلى موقف عرفة، وقلوبهم ممتلئة سعادةً بهذا الاصطفاء، رجاء أن يكونوا عتقاء ربهم من النّار.

يأملون وقد دخلوها محمّلين بالأوزار أن يخرجوا منها عند مغيب الشمس وقد طُهّروا ونُقّوا من الذنوب، وغُفرت لهم الخطايا والآثام، فبأي قلب سيسير هذا الركب المبارك، وأيُّ فرح يسكن تلك الأفئدة؟!

فإذا ما أقبلْتَ أيُّها الحاجُّ على عرفات فاعرف فضل الله عليك، ولْينظر إلى قلبك وقد امتلأ حمدًا له، معترفًا أنّك عاجزٌ عن الثناء عليه، ولسانك يلهج بالشكر على هذه النعمة وهذا التوفيق.

وإنّي مُوصيك إن أردتَ الانتفـاع بيوم عرفة الانتفاع الكامل، أن تنظـر إليه نظرةً مغايرةً لبقية أيّـام عامك، بل أيّام عمرك، فكثيرٌ من الحُجّاج ربما لن يتيسّـر لهـم المجيء إلى عرفات مرة أخرى لكثرة أعداد الحُجّاج هذه الأعوام، ولأنّ الحجَّ في الأصلِ واجبٌ على المسلم في العمر مرة واحدة فقط، فحريٌّ بمن بلغ عرفات أن يعتنـي بهذا اليوم عناية فائقة، ويتعامل معه معاملة خاصّة، ويتفرّغ فيه تفرغًا تامًّا للعبادة.

وإذا نظرت لحال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا اليوم رأيتَ كيف كانت عنايته به، حيث انصرف فيه للعبادة والدعاء، وَشَغَلَ عشيَّتَه كُلَّها بالمناجاة بصورة واضحة للعيان، فجمع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بين صلاتي الظهر والعصر حتى يتفرَّغ للدعاء.

وجـاء في حديـث جابـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **(ثُـمَّ رَكِبَ رَسـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى أَتَـى المَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْـنَ نَاقَتِهِ القَصْوَاءِ إلى**

الصَّخَـرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ المُشَـاةِ بيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْـتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حتَّى غَابَ القُرْصُ)[1].

فتأمّـل قولَه: (فَلَـمْ يَـزَلْ وَاقِفًا حتَّـى غَرَبَت الشَّـمْسُ) لترى اسـتغراق هـذه العشـية كلها في الدعـاء لعلمه -وهـو أعلم الأمّة بشـرفِ هذا اليوم- ولذا لم يرد في سنته كلها أنّه استغرق مثل هذا الوقـت في الدعـاء والمناجاة، حتـى إنّ الصحابة شـكّوا هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صائمًا أم لا؟ فأرسلت إليه أمُّ الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بلبن بعد العصر فشرب منه والناس ينظرون.

وجـاء عند الإمام النسـائي مـن حديث أسـامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "كنـتُ رديـفَ النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفـاتٍ، فرفعَ يديْـهِ يدعو فمالت بِهِ ناقتُهُ فسـقطَ خطامُها فتناولَ الخطـامَ بإحدى يديْهِ وَهوَ رافـعٌ يدَهُ الأخرى"[2] كلّ ذلك مبالغة في رفع اليدين، واسـتغراقًا في المناجاة.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي.

فـإذا عرفتَ هذا من حال نبيـك ﷺ -وهو عبدٌ غُفر لـه ما تقـدّم من ذنبه وما تأخر-، فما سـواه أحقُّ بصـدق اللجوء، وإظهـار الفاقة والحاجة للمغفرة، وتفريـغ الوقت لهذا المقصد، واستغراق أغلب ساعات هذا اليوم بالدعاء.

وحتـى يكـون اغتنامـك ليـوم عرفـة علـى الوجـه الأكمل، فـلا بُدَّ لك من معرفة مكانـة هذا اليوم المبـارك، وهاك طرفًا من هذه المكانة:

۞ معرفة مكانته.

فهـو اليوم الذي أكمـل اللهُ فيه الدين وأتمَّ فيـه النعمة، وأنزل فيه قولـه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] فهـو يـومٌ يذكّر المؤمن بكمـال هذا الدين، فـلا يحتـاج لزيـادة، فاحمـد الله أن اصطفـاك وجعلك مسـلمًا، فالعالم حولـك يتخبّط في دياجير الباطـل، وخزعبلات العقيدة، وضـلالات العبـادات، وظـلام الكفـر، وأنت عبـدٌ مصطفى من بينهم، جعلك اللهُ مسلمًا له مؤمنًا به.

(١) [سورة المائدة: الآية ٣]

وهو عيدُ أهل الموقف، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **"يومُ عرفةَ ويومُ النَّحرِ وأيَّامُ التَّشريقِ عيدُنا أهلَ الإسلامِ وهي أيَّامُ أكلٍ وشربٍ"**(١).

الوقوف بعرفة هو ركنُ الحجِّ الأعظم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الحجُّ عرفةُ "**(٢). فهو الركن الذي من فاته الوقوف فيه فاته الحجّ. إنَّ يومًا بهذه المنزلة، وتلك المكانة لحريٌّ بمن بلّغه الله إيّاه أن يقدره حق قدرْه، وأن يُعظّمه حق التعظيم، وأن يُنزله من نفسه المنزلة اللائقة به.

۞ يومُ عرفة هو يوم مباهاة الله للواقفين فيه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"إنَّ الله يباهي بأهلِ عرفاتٍ أهلَ السماءِ، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاؤوني شُعثًا غبرًا"**(٣).

---

(١) رواه أهلُ السُنن.

(٢) رواه النسائيُّ

(٣) رواه أحمد، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم وقال: "صحيح على شرطهما"

فيُباهي الله تعالى بهم، ويُظهر فضلهم، ويُري الملائكة حُسن عملهم، ويُعظّمهم بحضرتهم ويُثني عليهم، فقد أطاعوه، واستجابوا له، فوقفوا في المكان الذي حدّده، وفي الزمان الذي وقّته، وفي الحال الذي ينبغي أن يكونوا عليه من الإحرام والتجرّد من كلِّ لباسٍ يُخالفُ هيئة التذلّل، فلا زينة ظاهرة عليهم، وإنّما هو الإخبات والتذلّل، والخضوع بين يديه، وإظهار الفاقة إليه.

ومباهاة الله بأهل عرفات شرفٌ كبير لهم، وهو أيضًا من دلائل رحمته، فمعلومٌ أنّ في الواقفين المُقصّر والمذنب، والمتجاوز للحدود، بل والمسرف على نفسه بكبائر الذنوب، ومع ذا يُباهي الله بهم، ففيه الرفعة لمقام الواقفين في عرفات، ورضا اللهُ عن صنيعهم هذا، وكرامته لهم، ومغفرته لهم، ولذا قال ابنُ عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنّه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران)[1].

فأيُّ نعمة أنت فيها أيُّها الواقف في عرفاتٍ هذه العشية، وأيُّ كرامة حزتها!

(١) [التمهيد: ١:١٢٠]

ومن كرامة الله لأهل عرفة، أنّه يدنو منهم، ففي الحديث: "وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ"(١).

وهو دُنُوٌّ حقيقي لا نُكَيِّفُهُ بأذهاننا، أو نَتَصَوَّرُهُ بأفكارنا، أو نُشَبِّهُهُ بنزول المخلوق، تعالى الله عن ذلك، فهو أعظمُ وأجلُّ، ولا شبيه له ولا مثيل في الصفات، ومنها الصفات الفعلية كهذا الدُنُوِّ، وإنّما نؤمن بها دون الخوض في كيفيتها، وتشبيهها، أو السؤال عنها.

والله ينزل كُلَّ ليلة إلى السماء الدنيا نزولًا يليق به، إلا عشيةَ عرفة فإنَّه يدنو فيها، والعشية هي آخر ساعات النهار.

فهو الدُنُوُّ الوحيد له في نهار العام كله، وهذا الإخبار منه ليعتني الواقفون بهذه العشية، ويغتنموا هذا الفضل، ويتعرّضوا لرحمته، ويزداد توجّه القلوب لربها، وهذا الدنوّ فيه الإشارة إلى عناية الله بالواقفين في عرفة، وإكرامه لهم، والاحتفاء بهم والثناء عليهم.

(١) رواه مسلم

يومُ عرفة يوم العتق من النّار.

فمن مِنَّةِ الله على أهل عرفات أنَّه جعله أكثر الأيّام عِتقًا من النّار، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك ليتعرّض العباد لهذه النفحات، ويجتهدوا أن ينالوا هذا الفضل، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما من يوم أكثرُ من أن يُعتِقَ الله فيه عبيدًا من النار مِن يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثمّ يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟!"[1].

وزاد رزين في "جامعه" فيه: "اشهدوا ملائكتي أني قد غفرت لهم"

ومعنى قوله: "ما أَرادَ هَؤلاءِ؟!" أي: أيُّ شَيءٍ أَرادَ هَؤلاءِ حيثُ تَركوا أَهْلَهم وأَوْطانَهم وصَرَفوا أَموالَهم وأَتعَبوا أَبْدانَهم؟! والجوابُ محذوفٌ، تَقديرُه: ما أرادوا إلاَّ المَغفرةَ والرِّضا، وَهذا يَدُلُّ عَلى أَنَّهم مَغفورٌ لَهم؛ لأَنَّه لا يُباهي بأَهْلِ الخَطايا والذُّنوبِ إلَّا مِن بَعدِ التَّوبةِ والغُفرانِ، فيوم عرفة هو يوم الخلاص من النّار، والعتق والسلامة منها، وهل هناك مطلوب أعظم من المطلوب؟!

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وقفَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفات وقد كادت الشمسُ أن تؤوبَ، فقال: "يا بلال، أَنصِتْ لي الناسَ" فقام بلال فقال: أَنْصِتوا لرسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنصتَ الناسُ، فقال: "معاشرَ الناسِ، أَتاني جبرائيل آنفًا، فأقرأني من رَبي السلامَ وقال: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ غفرَ لأهلِ عرفاتٍ وأَهل المَشْعَر، وضَمِنَ عنهم التَّبِعاتِ" فقام عمر بنُ الخطاب فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاصة؟! قال: "هذا لكم، ولمن أتى من بعدِكم إلى يوم القيامة" فقال عمر بن الخطاب: كَثُرَ خيرُ الله وطابَ[1].

ذنوبك أيّها الواقف في عرفة غُفرت بإذن الله، وخطيئاتك مُحيت، وآثامك تجاوز الله عنها، فأيُّ فضل أعظم من هذا!؟ وأيُّ خير فُزتَ به هذه العشية؟!

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "فإذا وقفت بـ (عرفةَ) فإنّ الله عز وجل يَنزلُ إلى سماءِ الدنيا فيقول: انظروا إلى عبادي شُعثًا غُبرًا، اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم، وإن كانت عدد قَطرِ السماء ورملِ عالج"[2].

(١) أخرجه المنذري، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٢) رواه البزار والطبراني، وابن حبان في "صحيحه" واللفظ له. وهو في صحيح الترغيب والترهيب.

فهذه الفضائل هي التي جاءت بالمؤمنين من كلِّ فجٍّ عميق، فلبّوا نداء ربهم بالحجِّ، أداءً لِما أوجب من الحجِّ إلى بيته، ورجاء نيل هذه الخيرات، ولأجله وأجل غيره من مناسك الحجّ حرص الصالحون على الإكثار من الوقوف في عرفة، فنُقِلَ عن بعضهم أنَّه حجّ سبعين حجة، ومنهم من حجَّ ستين حجة وخمسين حجَّة، ومن هؤلاء إمام العصر الإمام عبدالعزيز ابن باز، فقد حجَّ قرابة خمسين حجة، فهنيئًا لنفسٍ وُفِّقت للوقوف في عرفة، ونالت فضل العتق من النّار بإذن الله تعالى.

يومُ عرفة والدعاء المستجاب فيه

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير"(١).

فأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، قال ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفيه من الفقه: أنَّ دعاء يوم عرفة أفضل من غيره، وأنَّه مجاب كله في الأغلب"(٢).

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

(٢) [التمهيد: ١:١٢٠]

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا اليوم أفْضَلُ أيام السَّنَة للدُّعاء، وهو مُعْظَمُ الحَجِّ ومَقْصُودُه والمُعَوَّلُ عليه، فينبغي أنْ يَسْتَفْرِغَ الإنسانُ وُسْعَهُ في الذِّكر والدُّعاءِ وفي قراءةِ القرآنِ، وأنْ يدعوَ بأنواعِ الأدعية، ويأتي بأنواعِ الأذكار، ويدعو لِنَفْسِه ووالديه وأقاربِه، ومشايخِه وأصحابِه وأصدقائِه وأحبابِه، وسائرِ مَنْ أحْسَنَ إليه، وجميعِ المسلمين)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنّه من المعلوم أنّ الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه)[2].

فاغتنم توجّه القلب وخضوع النفس، وأظهر فقرك وفاقتك لربك الكريم، واعتنِ في هذا اليوم بهذه العبادة أشدَّ العناية، فمعلوم أنّ لكل وقت عبادة، وأن لكل وقت واجبًا وفضيلة، وعبادة اليوم، هي: (عبادةُ الذكر والدعاء)

(١) [كتاب الأذكار للنووي: ١٩٨]

(٢) [الفتاوى شرح حديث النزول: ٥/ ٣٧٤]

وقد تقدَّم أنَّ قدوتنا وأسوتنا في العبادة -نبينا وخليل الرحمن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقف في يوم عرفة يدعو الله عَزَّوَجَلَّ من زوال الشمس إلى غروبها مبتهلًا بالذكر والدعاء والإنابة والخشوع، ولم يملَّ ولم يتعبْ من طول القيام والدعاء، فكان شعاره القوة في العبادة، ودثاره اللذة في المناجاة.

فاجمع مطالبك ودعواتك وأمنياتك وسائر حوائجك، وارفعها لربك، ولا تستكثر طلبًا أن تطلبه، ولا تستعظم مسألة أن تسألها، ولا يأتِ في نفسك استحالةُ تحقيق دعوة، وإن كانت في ظاهرها صعبة، أو أنَّها متعذِّرة المنال، فإنّما تدعو ربًّا قديرًا مجيبًا، وتسأل إلهًا سميعًا، وترجو سيدًا جوادًا كريمًا، العطاءُ عنده أحبُّ من المنع، والجود عنده أوسع من الحرمان.

ادعه وأنت مستحضر سعة رزقه، وكمال جوده، وكثرة فضله، وجميل إحسانه.

وادعه وقلبُك ممتلئٌ ثقة به، وأنّه ربٌّ لا يُعجزه طلب، ولكنَّه يُعطي بفضل، ويمنع بحكمة.

واجعل أهم مطالبك مطالب الآخرة، من التوفيق للهداية، والعلم النافع، والعمل الصالح، ونفع المسلمين.

وطهّر قلبك فيه، وأَحِبَّ للمسلمين ما تُحِبُّه لنفسك، وادعُ لهم كما تدعو لنفسك، فهذه الأمور من أسباب إجابة الدعاء بإذن الله.

وجدِّدْ في هذا اليوم التوبة، وأكثر من الاستغفار والندم على ما سلف منك، وعاهد الله على الاستقامة والاستجابة لأمره، فيوم عرفة من أنفع الأوقات للتوبة، وإظهار الندم له تأثير في إجابة الدعاء ومغفرة الذنوب.

ويُستحبُّ للداعي استجماع شروط الدعاء وآدابه من الإخلاص، والرجاء، واليقين، وحسن الظنّ بالله، والجزم في المسألة، والانكسار والتضرّع، والطهارة واستقبال القبلة، والسؤال بالأسماء الحسنى، والأدعية القرآنية والنبوية وجوامع الدعاء، والاعتراف بالذنب، وطلب المغفرة والرحمة، ورفع اليدين، وتكرار الدعاء، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يمنعك تقصيرك في طاعة الله، ولا يُقنِّطْك الشيطان عن الإقبال على الله بحجة أنّك صاحب ذنوب ومعاصٍ، فالمقصّرُ -وكلنا ذلك- أشدُّ النَّاسِ حاجةً للمغفرة، وأولاهم طلبًا للرحمة، فاغتنم هذا اليوم الأغرّ بالدعاء، فيوم عرفة يحيا معه الأمل، ويعظم معه الرجاء، وتحقّق فيه الأمانيُّ التي كان يتمناها كلُّ داعٍ وربما تأخَّرت عليه، ويرجو فيه كلُّ سائل إجابة سؤله، فكم من دعوات أُجيت عشية هذا اليوم المبارك، وكم من مطالب تمت لأصحابها، فاللهم اغفر لنا وارحمنا، وتجاوز عن تقصيرنا، وأنت أرحمُ الراحمين، وأجب دعواتنا كلها.

۞ يومُ عرفة، ومظاهر عظمة الله فيه

عظمةُ الله تعالى ظاهرة في كلِّ ذرة من كونه، وتظهر اليوم للمتأملين، فيقف المؤمن متأمِّلاً في عظمة ربه، واستحقاقه للعبادة، وإفراده بالمسألة.

انظر لهذه الأعداد الهائلة وهي تقف في مكان واحد، ويجمعهم صعيد واحد، قد اختلفت لغاتهم، وتمايزت ألوانهم، وتنوّعت مطالبهم، وتباين إتقانهم لعبادتهم، واختلف إخلاصهم في هذه

العبـادة، وفي دعائهم ومسـألتهم، ومع ذلك كلـه إلا أنّهم عند الله سواء، فيعلم الله حالهم، ويرى مكانهم، ويسمع دعاءهم، ويُحيط بمطالبهم، ويعلم نيّاتهم.

وانظر لعظمة الله في شـأن الدعاء، فهو يسمع دعوات الداعين كلهم هذا اليوم، وأعدادهم بالملايين، مع اختلاف لغاتهم، وتعدّد حوائجهـم، واختـلاف مطالبهـم، وتبايـن أحوالهـم في الصـدق والإخلاص، والإتيان بأسـباب الإجابة، واسـتحقاقهم لها، ومع ذلـك كله، فهو سـبحانه لا تخفى عليـه دعوة، ويـرى كل دمعة، ويعلـم ندم كل من تـاب، واعتراف كل من قصَّـر، وهو خبير بما انطوت عليه نفس كُلِّ داعٍ، وحكيم باسـتحقاق كل سائل، وعليم بعواقب كل مسألة، وما الأنفع لهذا المضطر.

دعاؤهـم عنده -سـبحانه- كدعـاء رجل واحـد، لا تختلف عليه لغاتهم، ولا تلتبس عليه مسائلهم، ولا تغلطه كثرة الأصوات والداعيـن، ذلك أنَّهُ واحد أحد لا شـبيه له ولا مثيل ولا نظير، قد باينت صفاته عَزَّوَجَلَّ صفات خلقه، فسبحان من له الكمال المطلق، والملك المطلق، والإرادة المطلقة، ونفذ أمره في عباده.

وتظهر عظمته في انفراده بالشرع، فهو الذي شرع الوقوف هذا اليوم، ووعد الثواب عليه، فليس لأحدٍ أن يُشَرِّعَ، ولو شَرَّعَ لأَكَبَّهُ اللهُ في النّار، فسبحان من تفرّد بالأوامر والنواهي، وتفرّد بالتشريع.

وتظهر عظمته في استجابة العباد لأمره، فيأتون في مكان واحد، ليس فيه من مقومات الحياة شيئًا إلا طعام يومهم وشرابه، وفي زمان واحد لا يتخلَّف عنه أحد، بل لو تخلَّف لم ينفعه وقوفه فيه، ولو وقف سائر أيَّام العام.

۞ يوم عرفة وإظهار الفقر والمسكنة لله

روى البيهقي في السنن الكبرى عن ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **(رأيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بعرفة، يداه إلى صدره كاستطعام المِسكين)**[1].

يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام لكمال إخلاصه في العبادة، وصدق خشته لربه، فإظهار الفقر والحاجة إلى الله تعالى ممّا ينبغي أن يكون عليه الحاجّ في يومه هذا.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى

وإظهار الفقر لله إرثٌ نبويٌّ سطّرته آيات القرآن، فها هو موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يرفع هذه الدعوات لربه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[1] وقد تقدّم آنفًا حال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم عرفة، فأظهر فقرك اليوم أيُّها الداعي وابكِ وتَبَاكَ، وليرى اللهُ من قلبك الاضطرار والحاجة، وأنَّك لا غنى لك عن فضله وإحسانه، ولا عن رحمته ومغفرته، ولا عن عافيته وهدايته، وأنه لا ملجأ لك في شؤونك كلها إلا إليه، فالخلقُ كُلُّهم فقراء إلى ربهم في كلِّ ذرة من ذرات حوائجهم، وفي كل أمر من أمور حياتهم، وإنّ إظهار الفقر في الدعاء يُثمر الخشية، وحضور القلب فيه، واجتماعه على التوجّه إلى الله.

۞ يوم عرفة والإرث العظيم

في يوم عرفة يتذكّر الحاجُّ أنّه على أعظم إرث للبشرية -وهو إرث الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام-، فقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة في يوم عرفة: **"قِفُوا على مَشاعِرِكم؛ فإنكم على إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أبيكم إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليه"**[2].

---

(١) [سورة القصص: الآية ٢٤]

(٢) رواه أبو داود.

وهذا عامٌّ لكل مَنْ حجَّ مِنْ هذه الأمّة إلى يوم القيامة، فإنّهم قد اقتفوا آثار الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، ووُفِّقُوا للسير على نهجهم، وكانت عبادتهم على أكمل سبيل وأهدى طريق.

فكُفَّارُ قريش كانوا يحجُّون في جاهليتهم، ولكنَّهم غَيَّروا وبَدَّلُوا، وخالفوا أمر الله فيه، ومن ذلك الشرك في القصد والتلبية، ومنها التغيير في أماكن وقوفهم، فكانوا لا يقفون في عرفة، فلمَّا بُعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بدين الحق وحجّ بالنّاس، وقف بهم حيث أمر الله وأَحَبَّ من عباده، وحيث وقف أبو الأنبياء ومن بعده من أبنائه المرسلين عليهم الصلاة والسلام، فبشّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الأمةَ أنَّهم واقفون على إرث أبيهم إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا ممَّا يفرحُ به أهل عرفات، حيث وفَّقهم الله للعمل المقبول عنده.

إنَّ شعور الحاجِّ أنَّه مُتَّبِعٌ لأشرف عباد الله، والمُصطَفَيْنَ من البشر يجعله يقف والقلب ممتلئٌ شُكرًا لربه على هذا التوفيق، وهذا الاجتباء والاصطفاء، وأنَّه في عبادة جليلة قد اصطفاه لها، فيسعى لأنّ يؤدي هذه العبادة على أكمل وجه، فاحمد الله على هذا، وزد شكرًا وثناءً لربك.

اجتماع يومُ عرفة، واجتماع النَّاس يوم القيامة.

يتذكَّرُ مَنْ أَحضَرَ قَلبَه في عرفة يوم القيامة واجتماع النّاس في صعيد واحد، يَنفُذُهُم البَصَرُ، فلا يأتي على آخرهم مُبْصِرٌ، وَيُسمِعُهُم الداعي، فيبلغ آخرَهم الصَّوتُ كما يَبلُغُ أَوَّلَهُم، في قدرة عظيمة للربِّ العظيم.

جمعهم اللهُ القوي العزيز في مكان واحد، وأحاط بهم، وعَلِمَ أحوالهم، وظهرت قوته كأظهر ما يكون على جمعهم وحشرهم وإذعانهم لهم، فلا يستطيع أحدٌ منهم أن يهرب أو يتخلَّف.

إنَّ اجتماع النّاس يوم عرفة مشهد يجعل المتدبِّرَ يعيش بقلبه ذلك اليوم الذي لا ينبغي أن يغيب عنه، فهو آتٍ لا محالة، فيستعد له بالعمل الصالح، ويتزوّد له بالزاد الذي ينفعه، فلا يكون همُّهُ إلا النجاة من أهواله، والفوز بعده، ويكون ممَّن ينال كتابه بيمينه، ويُحاسبُ فيه حسابًا يسيرًا.

يومُ عرفة، وظهور ذُلّ الشيطان.

جاء في الحديث: "ما رُؤيَ الشيطانُ يومًا هو فيه أصغرُ ولا أدحرُ ولا أحقرُ ولا أغيظُ منه يومَ عرفةَ، وما ذاك إلاَّ لما يرَى من تنزُّلِ الرحمةِ وتجاوُزِ اللهِ عن الذنوبِ العظام، إلاَّ ما كان من يوم بدرٍ. فقيل: وما رأَى يومَ بدرٍ؟! قال: أما إنَّه قد رأَى جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يَزَعُ الملائكةَ"(١).

فعَدُوُّ بني آدم إبليسُ قد بذل جهده في إضلالهم، وأفنى وقته في إغوائهم، فأطاعه طائفةٌ منهم، فيأتي هذا اليوم المبارك، فيغفر اللهُ فيه الذنوب -كرمًا منه وفضلاً-، ويُقيل العثرات ويمحو كبائر الخطيئات، ويتجاوز عما ارتكبه هؤلاء المذنبون، فيبطل عمل الشيطان ويضيع سعيه، ويرى أنَّ جهده الذي أمضاه في إغواء بني آدم في أعوام قد نُسِفَ في ساعات، وعاد بالخيبة والخسار، فاحمد الله يا من اصطفاك ربُّك وبلغت هذا الموطن، وأدركت هذا الزمان، فقد رجع عَدُوُّكَ بالحسرة والندامة بسبب مغفرة الله لك، فاعرف فضل ربك عليك.

(١) رواه مالكٌ في الموطأ مرسلًا باب جامع الحج، والبغوي في شرح السنة.

يومُ عرفة، ووقت الإنابة والتوبة.

كم كان يومُ عرفة موعـدًا لإنابة كثيرٍ من المذنبين ورجوعهم إلى ربهـم، وندمهم بين يـدي مولاهم، فالقلوب فيـه تتوجّه إلى الله، والنفـوس تسـتحضر مغفـرة ربها وإقالـة السـيئات للتائبين، فيعود المسـرف على نفسـه باللائمـة، ويفيق الضَّالُّ من سـكرته ويؤوب إلى رشـده، ويخاطبها بلسـان كسير ورغبة صادقة: حتى متـى أبقى بعيدًا عن الله، فالمؤمنون اليـوم يبكون بين يدي ربهم، ويسـألونه مغفرته وفضله وإحسانه، وأنا ما زلت على ذنبي قائمًا، ولمعصيتي ملازمًا، فيأتي هذا اليوم العظيم مذكِّرًا كلَّ نفس مسرفة على نفسـها بالذنوب بمغفرة الله، وقربه من عباده، ورحمته بهم، وإقالته لذنوبهم، وعفوه عن خطيئاتهم، وقبوله توبتهم.

فيـا لله، كم تاب في يوم عرفة من تائبين، فقبل الله توبتهم، وكم أناب من معرضين، فردهم إليه ردًّا جميلاً!

إنَّها السـاعات المباركات، التي من تعرَّض لها نال كُلَّ خير، ومن وُفِّق لها سـعد سـعادة أبديَّة، فتعرَّضْ لهذه النفحات، فلعله يكون يوم التوبة النصوح.

يومُ عرفة، وكلمة التوحيد.

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(١).

فـ(لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) هي أعظم الكلمات وأفضلها، وأحسن الحسنات وأكملها، وهي العروة الوثقى، والمُخلّصة من الشرك، والمُبَرِّئَةُ من أهله، وهي أصل الدين وأساسه، ومفتاح دار السعادة، ومنشور دار الولاية، والإكثار منها في هذا اليوم له شأنه ومكانته، فاليوم يوم عرفة وهو سيد الأيام، والذكر (لا إله إلا الله) سيد الأذكار وأعلاها منزلة وأعظمها أجرًا، فأكثر منها، واجعلها قرينة دعائك في هذا اليوم العظيم.

تنبيه مهم:

لِيَعلَم الحُجَّاجُ أن موقف عرفات يبدأ بعد الزوال، فإذا أتوا عرفة قبلها، فالأولى لهم أخذ قِسطٍ من الراحة ليكون أنشط

(١) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ.

للدعاء والذكر ومناجاة ربهم بعد صلاتي الظهر والعصر.

وينبغي البعد عن المضيعات والمشتِّتات، مثل إمضاء أكثر ساعات عرفة بالنوم، أو كثرة الانشغال بالجوال والتصوير، وأوصيك بإغلاقه، فإنَّما هي ساعات وينتهي يوم عرفة، وابتعد عن كثرة التَّحَدُّثِ والمماراة والجدال، واحفظ جوارحك عن المُحَرَّمات، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إنَّ هذا يومٌ مَن مَلك فيه سمعه وبصره ولسانه، غُفِر له"**(١).

فيحفظ الحاجُّ بصره عن النظر المحرّم سواء للنساء في الطرقات أو عن طريق أجهزة التواصل والصور، وكيف يليق بحاجٍّ ترك بلده وولده، وتحمَّل الصعاب لأجل الوصول إلى هنا ثمَّ هو يعصي اللهَ تعالى.

ويحفظ كذلك لسانه وسائر جوارحه، ويراقب قلبه عن أن ينطوي على خطيئة، وينوي صلة كلِّ قطيعة، ويعفو عن كلِّ من ظلمه، ويدعو كثيرًا لمن تعدى عليه.

(١) رواه أبو يَعْلى، وصَحَّحه المنذري.

وفقـك الله لاغتنام هـذا اليوم المبـارك، وجعلك مـن عتقائه مـن النار، وأجاب لك كلَّ دعوة تدعو بها، وصرف عنك كلَّ شـرٍ تخشاه، وحقّق لك كلَّ أمنية ترجوها.

❊❊❊